وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

لسانيات الجملة في ضوء نظرية الحجاج قصيدة بانت سعاد مثالاً

رسالة قدمت إلى
مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربيّة وآدابها

من الطالبة
إيمان قاسم حسن

بإشراف
أ.د. نصيف جاسم محمد الخفاجي

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

الفصل الأَوّل
مفهوم الحجاج، وعلاقاته،
وعلاقته بالغرض الشعري

المبحث الأوّل
مفهوم الحجاج ومنطلقاته وتقنياته

أولًا: في نظرية الحجاج.

ثانيًا: سمات الخطاب الحجاجي:

ثالثًا: منطلقاته.

رابعًا: تقنياته.

أوّلًا: في نظرية الحجاج:

إنَّ الإنسان كائن اجتماعي، ولكي يتواصل مع غيره يُقيم شبكة من العلاقات، وحين تنضج هذه العلاقات بين الأطراف يحتاج كُلّ طرف إلى عرض أفكاره؛ لتكون حلقة يتواصل بها مع الآخرين، وَأَنْ يكون عرضه لأفكاره مقنعًا سواء أكان ذلك عن طريق تنظيم هذه الأفكار وترتيبها على وفق المتعارف عليها بين أبناء المجتمع أم عن طريق البحث عن حجج كافية؛ لدفع آراء خصمه وحججه، ولتحقيق العملية التواصلية وتكوين الحجج المناسبة تلجأ الحضارات والثقافات إلى توظيف الوسائل والأساليب اللّغوية؛ لبناء أدلة الإقناع[1].

فالغاية من كُلّ تواصل إنساني هي الإقناع، بمعنى: الاقتناع بأمر، أو قضية، أو فكرة ما...؛ فالتواصل محاججة، هدفها: إقامة علاقات اجتماعية متينة بين أفراد العشيرة اللّغوية، وهو ما من شأنه أَنْ يسهم في خلق نوع من التوازن والاستقرار[2]؛لأَنَّهُ ((إذا أُنزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرق؛ فإنَّ الحوار ينزل منزلة الدواء الذي يُشفي منهُ))[3].

إذن فالحجاج يمثل النشاط اللّغوي الذي وجهت إليه الأنظار منذ بلاغة القدماء؛ إذ كان يمثل الأساس للعلاقات الاجتماعية (فن الإقناع) وحتّى يومنا هذا؛ إذ أصبح منطلقًا لكثير من الباحثين؛ الأمر الذي جعل منهُ مصطلحًا قامت كثير من المفاهيم وأسست عليه؛ لذا كان من الصعب الإلمام والإحاطة بهذه النظرية[4].

ويمثل الحجاج اتجاهًا تداوليًا متميزًا، وينطوي وجه التّميز في معارضته للتصور الماثل بين الدلالة وموضوعها (معنى الجملة) والتداولية وموضوعها (استعمال الجملة

---

(1) ينظر: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: 81.

(2) ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 3.

(3) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 20.

(4) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى: 6.

في المقام) من زاوية والاجتهاد في سبر كُلّ ما لَهُ علاقة داخل بنية اللّغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من زاوية أُخرى؛ لذا فإنَّ موضوع البحث عند ديكرو وانسكومبر بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في بنية اللّغة[1].

وبذلك يكون الحجاج عندهما كامنًا من حيث بنيته في اللّغة ذاتها لا في ما يمكن أَنْ ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية، أو شكلية، أو رياضية؛ إذن فالحجاج عندهما إنجاز لعملين، هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أُخرى، سواء كانت النتيجة مصرحًا بها أو مفهومة[2].

ويضربان مثالًا لتوضيح ذلك:

– لنخرج للنزهة بما أَنَّ الطقس جميل، أو

– الطقس جميل فلنخرج للنزهة.

فيكون ق 1 ← الطقس جميل

ق 2 ← فلنخرج للنزهة.

على أَنْ يكون ق 2 هو النتيجة الضمنية، بشرط أَنْ يكون التوصل إليها سهلًا يسيرًا.

وبذلك يكون الخطاب مبنيًا على تتابع هذه الأقوال (ق 1 ، ق 2) تتابعًا صريحًا أو ضمنيًا على شكل سلسلة من الحلقات الحجاجية الممكنة، وهي في تتابعها هذا متأتية من بنية الأقوال اللغوية لا من مضمونها الإخباري[3]؛ لذا يُعَدُّ البُعد الحجاجي بُعدًا جوهريًا في اللّغة نفسها، بمعنى: أَنَّهُ متى ما وجد (خطاب العقل واللّغة) فإنَّهُ لا بُدّ من إستراتيجية معينة نعمد إليها، إمّا لإقناع أنفسنا وإمّا لإقناع الآخرين، ولا شكَّ أَنَّ هذه الإستراتيجية هي إستراتيجية الحجاج نفسه، وهي بلا شكّ تحقق هذه الإستراتيجية مِمَّا

(1) ينظر: نظرية الحجاج في اللّغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 351.

(2) ينظر: الحجاج في القُرآن من خلال أهم خصائصهِ الأسلوبية: 33.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 33–34.

تستمده من خصائص وقيم من الحقل الذي أُنتجت فيه، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية، أو الفكر والتفكير من أيسر درجاته[1].

وبناءً على ذلك كُلّه نجد أَنَّ الحجاج متشعبٌ؛ لارتباطه بكثير من مجالات العلوم المعرفية، إِلَّا أَنَّ الاختلاف يكمن في طريقة التحاجج – إنْ صح القول –؛ فنظرة الفلسفي وتبنيه ظاهرة أو خطاب ما بلا شكّ تختلف عن نظرة اللّغوي اللساني؛ فالأوّل يربطها بالمنطق والفكر، والثَّاني يرجعها إِلى التركيبة اللّغوية، التي تلامس الملفوظ؛ وعليه يكون الحجاج خطابًا مرنًا يعتمد على أدوات وآليات؛ بهدف التأثير في المخاطب[2].

الحجاج اصطلاحاً:

إِنَّ اتصال الحجاج بمجالات العلوم المختلفة وتباين تحديداته على وفق السياق الذي يوظف فيه، جعل من الإحاطة بمفهوم دقيق للحجاج أمرًا في غاية الصعوبة؛ فتعدد مجالاته، وأساليبه، ومضامينه، وطرائقه، ووظائفه، قد أفضى إِلى تصورات حجاجية مختلفة، تبعًا لاختلاف تخصصات أصحابها وعنايتهم[3].

ومن أهم ما وقعت عليه أنظارنا أَنَّ الحجاج:

1. ((نشاط يتضمن عِدَّة أساليب؛ ولكن الذي يميز هذه الأساليب عن خصائص الخطاب الأخرى هو بالضبط اندراجها ضمن هدف مُعقْلن وأداؤها دور البرهنة، الذي يتميز بمنطق ما وبقاعدة عدم التناقض...، بمعنى: أَنَّ الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي))[4].

---

(1) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: 625/1.

(2) ينظر: الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل: 12.

(3) ينظر: بلاغة الإقناع: دراسة نظرية وتطبيقية: 15.

(4) الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى: 16.

2. الحجاج: ((سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة))[1].
3. الحجاج: ((جنس خاص من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا قاصدًا إلى إقناع الآخر؛ بهدف دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية))[2].
4. الحجاج: ((عبارة عن خطاب حواري تواصلي ديمقراطي تشاركي بامتياز، وهو نقيض العنف، والإرهاب، والإكراه، والتطرف؛ فهو يستلزم – حسب بيرلمان وتيتكا – الإقناع، والحوار، والاختلاف، والتسامح، والتفاهم، والتعايش، وحرية الرأي والمعتقد))[3].
5. الحجاج: ((عمليّة تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي: المرسل، والرسالة، والسامع، ويعدّ غير السامع أهم من المتكلم الخطيب؛ لأَنَّ الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر ومحاججته برهانيًا وعقليًا عبر مجموعة من المسارات الحجاجية؛ للوصول إلى الحقيقة والحل الراجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج))[4].

ولا شكّ أَنَّ ميدان الحجاج الواسع جعل منهُ موضع عناية الكثير من الباحثين، وعاملًا مشتركًا بين كثير من العلوم؛ لدوره الفعال، وحضوره المتميز في مختلف الخطابات العلميّة، والإنسانية، والثقافية؛ حتّى غدا أداة لمناقشة الأفكار، ومحاورة الأطراف المشتركة في عمليّة التواصل، والغاية من ذلك هو التأثير، أو الإقناع، أو مناقشة الآراء المطروحة، إما بالتأييد وإما بالمعارضة[5].

---

(1) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 8.
(2) الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللّغوي: 134.
(3) المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق: 13.
(4) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: 31.
(5) ينظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: 9.

ويرى بروتون وجوتييه أَنَّ الحجاج لا يرتقي إِلَّا في إطار أوسع وهو (التواصل)؛ وذلك عن طريق العناية بالحجة؛ بوصفها تمثل رسالة؛ أي المحتوى التواصلي، وطريقة نقلها، وتوصيلها، وتبادلها؛ لأَنَّ الحجة تحمل في طياتها سمة أساسية تميزها من التفكير المنطقي، وهي أَنَّها تشكل علاقة بين عِدَّة أطراف، ولا شكّ أَنَّ علاقة الترابط التي تربط بين الحجاج والتواصل تمتد لتشمل ما يقوم بين الحجاج والإقناع؛ إذ إِنَّ الحجة لها غاية إقناعية؛ فهي في كُلّ الأحوال تبحث عن إقناع المتلقي بفكرة مطروحة، وجعله يتخذ سلوكًا معينًا[1]؛ وهذا يعني أَنَّ الحجاج عمليّة تواصلية يعتمد بالأساس على الحجج المنطقية، ووسيلة تهدف لإقناع الآخرين، والتأثير فيهم[2]؛ ((فالحجة من خلال البناء المنطقي هي خطاب مغلق، ونظام الغلق هنا يتم عبر آلية الاستدلال، التي تصور حركة الحجة في شكل مقدمة أو مقدمات ونتيجة))[3].

وعليه فالحجاج بمفهومه العام يقوم على فكرةٍ ما واستعراض الحجج، والأدلة، والبراهين؛ كي يصل المتكلم إِلى نتيجة قد يؤثر بها في المتلقي؛ فيقتنع بها أو لا يقتنع[4]؛ لأَنَّ غاية الحجاج ((جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان؛ فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة))[5].

ويستند الحجاج إِلى مجموعة من الآليات، والأساليب، والعمليات، والروابط اللّغوية، والمنطقية، والجدلية، والفكرية، والتداولية، والخطابية التي توظف في إنتاج

---

(1) ينظر: تاريخ نظريات الحجاج: 13-14.

(2) ينظر: مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري: 25.

(3) مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري: 25، والفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: 86.

(4) ينظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: 10.

(5) نقلًا عن: المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق: 13.

النصّ أو الخطاب؛ بهدف التأثير في المتلقي وإقناعه؛ وهذا يعني: أَنَّ الحجاج يقوم على حوار بين المتكلم والمخاطب، وهو ما يراه أبو بكر العزاوي من أَنَّ الحجاج فعالية تداولية تقدّم مجموعة من الحجج، التي تخدم نتيجة معينة[1].

ويرى أبو بكر العزاوي أَنَّ ((هذه النظرية التي وضع أسسها اللّغوي ازفالد ديكرو منذ سنة 1973 هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم؛ وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية)) [2]. وتكمن أهمية الحجاج فيما ((يولده من اقتناع لدى المرسل إليه الذي لا يتأتى لَهُ إِلَّا باستعمال اللّغة؛ لأَنَّ النظرية الحجاجية تنطلق من فكرة مفادها: أَنَّنا نتكلم عامة بقصد التأثير)) [3].

وتبين هذه النظرية أيضًا أَنَّ اللّغة تحمل في طياتها وظيفة حجاجية؛ إذ انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللّغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، ثمَّ قام ديكرو بتطوير أفكار أوستين بإضافة فعلين لغويين، هما: (فعل الاقتضاء وفعل الحجاج)؛ إذ نجد أَنَّ ديكرو يعرف الفعل اللّغوي بأَنَّهُ موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية وفعل الحجاج يفرض على المخاطب اتجاهًا معينًا من النتائج بصفته الاتجاه الوحيد للحوار؛ فالقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام ينبغي للخطاب أَنْ يسلكه؛ ليحقق تناميه واستمراره[4].

ولما كانت اللّغة تحمل وظيفة حجاجية، يعني: ((أَنَّ التسلسلات الخطابية محددة لا بوساطة الوقائع التي تعبر عنها الأقوال فقط، وإنَّما بوساطة بنية هذه الأقوال نفسها،

---

(1) ينظر: المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق: 13.

(2) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: 55، واللّغة والحجاج: 14.

(3) إستراتيجيات الخطاب: 457.

(4) ينظر: اللّغة والحجاج: 15-16.

وبوساطة المواد اللّغوية التي جرى توظيفها وتشغيلها))[1]؛ بمعنى: أَنَّ الحجاج مؤسس على الأقوال اللّغوية، وبنيتها، وتسلسلها، وعملها داخل الخطاب.

وهذا يقودنا إلى أَنَّ اللّغة تحمل في طياتها بسمةٍ ذاتيةٍ وجوهرية وظيفة حجاجية تتضح في بنية الأقوال ذاتها، دلاليًا، وصوتيًا، وصرفيًا، وتركيبيًا[2].

أَمّا طه عبدالرحمن فيرى أَنَّ الفعالية الحجاجية صفة لكُلّ خطاب طبيعي، وحدّ الحجاج عنده هو: ((فعالية تداولية جدلية؛ فهو تداولي؛ لأَنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجهات ظرفية... وهو أيضًا جدلي؛ لأَنَّ هدفه إقناعي قائم على بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة...))[3]، وهذا يعني أَنَّ المجال الحجاجي هو الأجدر لتحقيق الإقناع الذي يهدف إليه.

ويرى أَنَّ الحجاج هو كُلّ منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق لَهُ الاعتراض عليها؛ فلا خطاب بغير حجاج ولا مخاطِب من غير أَنْ تكون لَهُ وظيفة (المدعي)، ولا مخاطَب من غير أَنْ تكون لَهُ وظيفة (المعترض)؛ مستندًا بذلك إلى مبدأين أساسين، هما: قصد الإدعاء، وقصد الاعتراض[4]؛ فالخطاب الحجاجي عنده يقوم على قصد الإفهام من دون إلزام للمخاطب بالدعوى المطروحة[5].

وهذا يعني أَنَّ نظرية الحجاج ترتبط بالتداولية، ولاسِيَّمَا بعد انتقالها من لسانيات اللسان إلى لسانيات الكلام؛ إذ إنَّها تعمل على إبراز جوانب العلاقة القائمة بين المتكلم والمتلقي من داخل مجال دلالي[6].

---

(1) اللّغة والحجاج: 16-17.

(2) ينظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: 35.

(3) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 65.

(4) ينظر: اللسان والميزان: 226.

(5) ينظر: الحجاج في الخطابة النّبويّة: 11، والحجاج اللّغوي في كتب مجالس العلماء وأماليه: 10.

(6) ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 7.

ولا شكّ أَنَّ هذا المجال يبحث كُلّ المتطلبات المعرفية واللّغوية الشائعة بين المتكلم، والمتلقي، والمُحوِّرة لكُلّ قول يستعمله المتكلم بكُلّ شكل من الأشكال[1]؛ وبذلك يكون هدف هذه النظرية الحجاجية بحسب (Moeschler) وضع الأسس التداولية لخطاب مثالي، وهو ما ستتأسس عليه نظرية خطابية معقدة أو حركية؛ فعندما تندرج العمليّة الحجاجية في ضمن حيز تداولي، وتعتمد على مقومات تكتسب نوعًا من التمييز عن البرهان الذي يعني بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بقطع النظر عن مضمونها والمجال الذي استُعملت فيه[2].

أَمّا الحجاج الذي يُعَدُّ محور الخطاب فهو يعتمد على كُلّ ما مِنْ شأنه أَنْ يسهم في نجاح العملية التواصلية بين الأفراد؛ وهذا يعني أَنَّ العملية الحجاجية أفسح بكثير من بنيات البرهان الضيقة؛ لأَنَّ بناء النصّ في عمليّة التواصل يعتمد على الصور الاستدلالية ومضامينها بصورة متماسكة[3].

ولما كان الحجاج ظاهرة تتجسد في الخطاب وبه يتحقق نتيجة ارتباط الخطاب الحجاجي بالبعد التداولي؛ فإنَّنا بذلك سنكون بصدد نظرية الأفعال الكلامية، التي لها بلا شكّ مرجعية قائمة ومشتركة بين المتكلم والمخاطب[4]، ولما كان الحجاج ((أَنْ يقدّم المتكلم قولًا ق 1 أو مجموعة من الأقوال) موجهة إِلى جعل المخاطب يقبل قولًا آخر ق 2 (أو مجموعة أقوال أُخرى) سواء أكان ق 2 صريحًا أم ضمنيًا، وهذا الحمل على قبول ق 2 على أَنَّهُ نتيجة للحجة ق 1 يسمى عمل محاجة؛ فالحجاج إذن هو علاقة دلالة تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل محاجة؛ ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية؛ فلا بدّ من أَنْ تتوفر في الحجة ق1 شروط محددة؛ حتّى تؤدي إِلى ق2

(1) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 28.

(2) ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 8، واللسان والميزان: 226.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 8، وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 46.

(4) ينظر: إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية: 86.

لذلك فإنَّ الحجاج مسجل في بنية اللّغة نفسها وليس مرتبطًا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية))[1].

وهذا ما سعى إلى إثباته ديكرو وانسكومبر من تجذر الحجاج وتغلغله في اللّغة؛ فالخطاب عندهما وسيلة إخبارية غايتها التأثير في المتلقي[2].

ثانياً: سمات الخطاب الحجاجي:

إنَّ الخطاب الحجاجي عندما يكون موجهًا وجهة ما لغرض التأثير في المتلقي تأييدًا أو اعتراضًا فهو بلا شكّ لَهُ سمات تميزه من غيره من الخطابات الأخرى.

وقد أجمل (بنوا رونو) سمات الخطاب الحجاجي في الآتي[3]:

1. القصد المعلن: أي إقناع المتلقي بفكرة معينة؛ من أَجل إحداث أثر ما فيه، وقد عبّر عنه طه عبدالرحمن بالإقناعية بقولهِ: ((عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاده؛ فإنَّ مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنَّما تتبع في تحصيل غرضها سبلًا استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرًّا إلى الاقتناع برأي المحاور))[4]. وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية، وقد نجح رجال الإشهار في إدراك أهمية هذا الأمر واستغلاله بصورة ناجحة من صور التواصل، وتكمن السمة القصدية ((في تقديم حجة؛ فلا نعدّ العبارة إلَّا في علاقتها بنتيجة معينة، أو يتحقق في الهدف الحجاجي للفعل القولي))[5].

---

(1) نظرية الحجاج في اللّغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 360-361.

(2) ينظر: نظرية الحجاج اللّغوي عند أزفالد ديكرو وانسكومبر: 196.

(3) ينظر: الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه: 26-27، وأسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: 41.

(4) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 38، ينظر: البنية الحجاجية في قصّة سيدنا موسى عليه السلام: 16.

(5) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 110.

2. التناغم: لما كان النصّ الحجاجي نصًّا مستدلًا عليه؛ فهو يوظف على نحو دقيق؛ بحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال، ويتجلى ذلك كُلّهُ عن طريق صاحب النص، ومعرفته بنفسية المتلقي وقدراته.
3. الاستدلال: نعني به: سياقه العقلي، وبما أَنَّ النص الحجاجي نصّ يقوم على البرهنة؛ فلا بُدّ أَنْ يكون مبنيًا على نظام تترابط فيه العناصر على وفق سياق تفاعلي تهدف إلى غاية واحدة مشتركة.
4. البرهنة: واليها تردّ الأمثلة والحجج، وكلّ آليات الإقناع، مرورًا بأبلغ إحصاء، وصولًا إلى ألطف فكرة، وهي: الطريقة التي توظف فيها الحجج؛ لحمل المتلقي على الإذعان وبواسطتها يسعى المحاجج إلى تبليغ معارفه بأقل جهد وأقصر وقت[1].

وترى سامية الدريري أَنَّ للنص سمة أُخرى وهي سمة (الحوارية أو التحاورية)؛ لأَنَّ النص الحجاجي هو (حوار مع المتلقي) يقوم على علاقة بين منشئ النص ومتلقيه، ولهذه السمة أهمية أساسية في تأكيد حجاجية النصّ، وتتخذ هذه العلاقة صورًا مختلفة، يكشفها الخطاب نفسه؛ لأَنَّهُ يحاول إقناع أَكبر عدد ممكن من المتلقين بما ورد فيه[2].

ثالثاً: منطلقاته:

يقتضي الخطاب الحجاجي جُملة من الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيم، التي تشكل بمجموعها مقدمات حجاجية ضرورية يقوم عليها كُلّ خطاب، إِلَّا أَنَّ هذه المقدمات لا تعني صدقها، واقتناع المتلقي بها كُلّيًا، وفي حينها لا نخرج في الحجاج عن إطار الممكن والمحتمل، ومتى ما كانت هذه المقدمات صادقة وضرورية فإِنَّها توجب تسليم المتلقي بها كليًا؛ وبذلك نكون قد خرجنا عن دائرة الحجاج؛ للدخول في

(1) ينظر: البنية الحجاجية في قصّة سيدنا موسى عليه السلام: 17.
(2) ينظر: الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه: 28.

دائرة البرهنة العلميّة، التي تنطلق من مقدمات ضرورية تؤدي إلى نتائج ضرورية[1]، ((وقد علّق علماء الحجاج مبتدأ الانطلاق في الحجاج بمقدماته وصدوره؛ نظرًا إلى كونها متعلقة بالقضايا التي منها يكون المنطلق؛ وبها يكون الاستدلال على قضية ما أو رأي بعينه)) [2].

وعلى المحتج أَنْ يدرك الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه، متخذًا بالحسبان ما يلائم المقام، وينسجم مع أفكار المتلقي، ومعتقداته، وتوجهاته، وأيها تكون أكثر ملاءمة ومناسبة؛ لتحقيق هدفه، والتأثير في متلقيه، فضلًا عن انتقائه للعناصر التي يكون لها حضورٌ ناجعٌ في الخطاب الحجاجي؛ إذ رُبَّما تكون هذه العناصر غير منسجمة مع هدف الخطاب وغايته، وانتقاء هذه العناصر لا يقوم على مجرد اصطفاء لمقدمات أو عناصر يؤسس عليها الحجاج، بل إنَّ عمليّة البناء توجب توظيف تقنيات معينة على إثرها يكتسب الخطاب تناغمًا بين عناصر الشكل والمضمون[3].

ومن هذه المقدمات:

1. الوقائع والحقائق:

تمثل الوقائع: ((ما هو مشترك بين عِدَّة أشخاص، أو بين جميع النَّاس، ولا تكون عرضة للدحض أو الشكل، وتشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج)) [4]. في حين أَنَّ الحقائق قائمة على الربط بين الوقائع، وهي أكثر تعقيدًا من الوقائع؛ إذ إِنَّ مدارها النظريات العلميّة، والمفاهيم الفلسفية، أو الدّينية[5].

ولما كانت الوقائع والحقائق في (بانت سعاد) مبنية على أصول دينية ذات التصاق بالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ) بصورة خاصة وبدين الإسلام بصورة عامة

(1) ينظر: الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه: 182.
(2) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: 96.
(3) ينظر: الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه: 186.
(4) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 308.
(5) ينظر: بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل: 172.

أجملَ كعب هذه الأصول؛ معلنًا بوساطتها إقراره بالدّين الجديد، وإيمانه بالله، وبعثة النبيّ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)[1]؛ قال كعب:

إِنَّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ بهِ مهنَّدٌ من سُيُوفِ اللهِ مسلولُ[2]

لا شكّ أَنَّ هذا البيت هو أحسنُ أبيات القصيدة وأنفسها؛ وهو ما أشار إليه صاحب (نيل الأمنية على القصيدة الكعبية) بأَنَّهُ هو بيت القصيد، ونال الشاعر منهُ رضا النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)، وعفوه، ورمى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) عليه بردته الشّريفة[3].

ولا بُدّ من الإشارة إلى جُملة من الأمور التي وظفها كعب في هذا البيت، الذي كان لَهُ أثر كبير في دعم البنية الحجاجية ومساندتها النتيجة التي يرمي إليها، منها:

توظيفه للضمير الذي كان لَهُ نصيب في التدليل على المعنى، فضلًا عن علاقته الشكلية في تركيب الجملة؛ فهو يعمل بمنزلة جسرٍ يصل بين الألفاظ؛ جاعلًا منها بُنية متماسكة في معناها؛ لدلالته على معنى في سابق عليه أو لاحق[4]؛ فجاء توظيفه للضمير بمنزلة إعادة اللفظ مرة أُخرى، مشبهًا ومؤكدًا بوساطته أَنَّ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) هو كالسيف المهند، الذي يهتدى بنوره، فضلًا عن تكرار كلمة (السيف) التي جاءت داعمًا ومؤكدًا الحجة التي جاءت في صدر البيت (أَنَّ الرسول لسيفٌ) ومؤكدًا معناه في (مهند) [5].

وكذلك وظّف الشاعر صفة (الرسول) للنبيّ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) داعمًا للبناء الحجاجي؛ إذ كان بمقدور الشاعر مخاطبة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ

---

(1) ينظر: بانت سعاد لكعب بن زهير مقاربة حجاجية ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: 554.

(2) الديوان: 40.

(3) نقلًا عن: التحليل الحجاجي للخطاب: 554.

(4) ينظر: الربط في اللفظ والمعنى: 224.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 329.

وَسَلَّمَ) باسمه (يا محمد)، أو (يا أبا القاسم)، وهو أمر جائز في الأمداح النّبويّة[1]، إِلَّا أَنَّ عدوله من الاسم إلى الصّفة أمرٌ مقصودٌ لَهُ أبعاد حجاجية، لا يمكن أَنْ يقوم اسم العلم بالأثر نفسه الذي يؤديه الوصف؛ لذا كان العدول المطرّد من الاسم إلى الصّفة، الذي يقيد محتواه الجوهري، وضامنًا نجاح الفاعلية الحجاجية[2].

ولا شكَّ أَنَّ هذا العدول يحقق من الناحية الحجاجية أمورًا كثيرةً هو أَنَّهُ جاء للدلالة على معنى في المسمى به، وهو أَنَّهُ مرسل، وهذا المعنى يقتضي وجود رسالة ومرسل إليهم هم بني البشر، ومرسل هو الله تعالى؛ الأمر الذي يدفع بالمتلقي ويوجبهُ بأسلوب من الأساليب بتصديق هذه الرسالة، والتصديق بصاحبها، وليس لاسم العلم قبيل من هذا الشيء[3].

وهذا الاستعمال فيه تعليل ومجادلة، وفي هذه المجادلة بالسبب التي تحققها، وتثبتها كلمة (الرسول) بدلًا عن اسم العلم (محمد) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) يعتمد على ما سمّاهُ تولمين بالضمان، أو القاعدة التي بوساطتها يقع العبور من المعطى إلى النتيجة التي تثبت مؤدى الجملة؛ أي بمعنى إثبات المعنى اللغوي، ونجاحه، وإحراز فاعليته، وتأثيره في المتلقين[4].

وبذلك نالَ كعب بهذا البيت رضا الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) وعفوه؛ بوصفه حقيقة ثابتة ليست من المغالاة والإسراف، التي يأوى إليها الشعراء في نظم أشعارهم؛ وبذلك كان لهذا القول صحته؛ إذ تجلى بوساطته موافقة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)، والعفو عنه، وإجماع الصحابة (رضي الله عنهم) على قبوله؛ فالحقيقة النبوية التي أَسلم لها كعب كانت بمنزلة داعمٍ للبناء الحجاجي؛ لأَنَّ الشاعر أكد شيئًا

---

(1) ينظر: بانت سعاد لكعب بن زهير – مقاربة حجاجية – ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: 565.

(2) ينظر: الحجاج في القُرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 177.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 178.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 181.

موجودًا، وارتقى بوساطتها إلى مدارج الرفعة الشعرية جامعًا بين الإمتاع والإقناع في صورة تجلّت بمتوبة النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) واستحسانه وإشارته إلى أصحابه (رضي الله عنهم) إنْ اسمعوا وعوا[1].

2. القيم:

تحتل القيم مكانة عالية يكون عليها مدار الحجاج ويتوجّه بهديها[2]، وتمثل أساس الحجاج في مجالات العلوم السياسية، والفلسفية، والإنسانية، وهي التي تستدعى لتدفع بالمستمع نحو اختيارات محددة، أو لتسويغ هذه الاختيارات[3]، وقد عدّها بيرلمان بمنزلة قواعد حجاجية ((نستند إليها؛ لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أُخرى، كما أَنَّنا نستدعيها خصوصًا من أَجل [تبرير][4] تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي دعونا إليها مقبولة ومؤيدة من طرف الآخرين...؛ فبالقيم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المبدع (المحاجج)، هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم محافظة على نصاعتها بعد الاستعمال؛ مِمَّا يجعلها صالحة للاستعمال في مقامات أُخرى))[5].

والقيم نوعان: قيم مجردة من قبيل العدل والحق، ومحسوسة: من قبيل الوطن[6].

الوطن[6].

وكان من القيم الإسلامية التي وظفها كعب في قصيدته هي قيمة العفو، التي تُعدُّ بؤرة تدور حولها مجموعة القيم المساندة والمؤيدة لغرض القصيدة يقول كعب:

---

(1) ينظر: بانت سعاد لكعب بن زهير – مقاربة حجاجية – ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب: 554-555.

(2) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: 103.

(3) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: 88، وبلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية: 163.

(4) الأصح: تسويغ.

(5) نقلًا عن: بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية: 163.

(6) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: 26.

أُنبئـــت أَنَّ رســـولَ الله أوعـــدني والعفـوُ عنـد رسـولِ اللهِ مـأمولُ[1]

فبعد أَنْ عوقب بإهدار دمه، كان يطمع بأَنْ ينال عفوًا علنيًا من الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)؛ وذلك بوساطة توظيفه لقيمة العفو، التي هي من شيم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)؛ جاعلًا منها البؤرة المركزية، التي تنصب عليها بعد وقوع القول موقع اقتناع، ورضا، وقبول من النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)؛ فكانت حجة العفو مبطلة لما سواها من الأقوال، وكان لكعب ما أراد[2].

وقد وفّقَ الشاعر بتوظيفه للفعل المبني للمجهول، محيلًا بذلك مجرى عقوبته إلى مجرى آخر، وهو العفو؛ فلم يذكر عقابه على أَنَّهُ حقيقة؛ فلم يأتِ لينال عقابه، بل جاء ليحظى بالعفو؛ بانيًا الفعل للمجهول في الشر، ومؤكدًا العفو بجملة إخبارية تفيد حقيقة أَنَّ العفو مأمول عند الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)، موعزًا بذلك أَنَّ مُخبرًا أنبأه بأَنَّ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) هددّه بالعقاب، مبعدًا الكلام الذي سمعه عن وجه الإثبات وصارفًا النظر عن ذكر الفاعل مطلقًا إيّاه ليحتمل كثيرين؛ فمقام الاعتذار يلائمه عدم ثبوت الخبر وتحقيقه بالوعيد؛ لذا جاء الفعل مبنيًا للمجهول؛ ليضعه موضع احتمال، ويحقق بوساطته عطف المستعذر منهُ، وهو الأفضل؛ لموضع يحتمل الشر[3]؛ صارفًا بذلك المخاطب عن غضبه وعقابه، ومؤكدًا حقيقة عُرِف بها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) بالجملة الاسمية: (والعفو عند رسول الله مأمول)، مكررًا ذكر لفظة (الرسول) في البيت؛ لتكون داعمًا قويًا للبناء الحجاجي، مؤكدًا تسليمه واعترافه بنبوة

---

(1) الديوان: 37.

(2) ينظر: بلاغة الحجاج بين التخييل والتأويل: 173.

(3) ينظر: الربط في اللفظ والمعنى: 53.

الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ)، ولا شكَّ أَنَّ في ذلك الاعتراف بنبوة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) ورسالته سبيلًا للاستعطاف والاسترحام، الذي يقتضي العفو[1].

وقد جاء التلذذ، والتوقير، والتعظيم، الذي تجلى بوساطته تكرار لفظة (الرسول) دالًّا على التضخيم، والتمكين، وتقوية الرجاء؛ بدليل أَنَّهُ جاء بـ(عند) ولم يأتِ بـ(من)، وبعد أَنْ أكدت لَهُ الأخبار بأَنَّ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) سيقبل اعتذاره؛ فتكرار الاعتراف بالنبوّة يوجب العفو والرضا، وهو أبلغ في الاستعطاف[2]؛ فكانت الحجة التي قدّمها داحضة لما سواها مفعمة بطاقة العفو، التي هي من القيم الإسلامية النبيلة.

ولما كانت قيمة العفو من شيم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ) كان ذلك دافعًا لتشجيع النَّاس للدخول في الإسلام، وحماية لهم؛ لأَنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله؛ وبذلك تضافرت لهذه القيّمة المسوغات والذرائع، التي جعلت منها نقطة تلتقي عندها مجموعة القيم الأخرى، التي أَلَمَّ بها الشاعر في قصيدته، التي كانت بها حاجة للعفو قبل كُلّ شيء بعد أَنْ ضاقت به الدُّنيا بما اتسعت، وأعرض أصدقاؤه عن نصرته، وأحاط به الوشاة، يقول:

يَسعى الوشاة بجنبيها وقولهم إِنَّكَ يا ابن أبي سلمى لمقتولُ

وقال كُلّ خليلٍ كنتُ آمله لا ألُفينّكَ إِنَّي عنك مشغولُ[3]

إذ أكد هؤلاء الوشاة تأكيدًا لا يدع موضعًا للشكّ بأَنَّك مقتول على الكُفر، وصائر إليه بمؤكدين (إِنَّ الشديدة المكسورة الهمزة ولام الابتداء) وإبعادًا لإنكار أي منكر لهذا الخبر؛ لذلك اعتلت قيمة العفو قمة الهرم الحجاجي[4].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 63.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 328.

(3) الديوان: 73.

(4) ينظر: بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل: 173.

Abstract

It seems that the sentence is the fulcrum of communication and a language employs to serve his purposes; because it does one purpose and it is independent structured through connected relations. It is weaved due to the frame that it centers on. Thus, the researcher sees that the sentence linguistics deserves to be studied. In the present study the researcher reveals the importance of sentence whish has a semantic function and through whis the speaker performs his purpose and the addressee's understanding of the purpose. There in nothing better than "Banat Suad" poem to resort to the reveal what the sentences poet employs to understand.

Argumentative theory and to explain the range of taking root in the structure of language.

The researcher takes the negotiation approach ideat approach to study Argument to tackle the linguistic phenomena in the fields of its usage.

To fulfill what is mentioned above the subject from all sides.

Chapter one deals with the concept of Argument and his relation with poetry purpose. The researcher shows the characteristics and norms which distinguish the argumentative speech from other types of speech. Chapter two deals with argumentative tools, connection machinery and the argumentative factors and their roles in giving the argumentative from of the word. Chapter three is devoted to show the argumentative function of structures and the grammatical styles which support the poet to refute his competitors viewpoints and objection of these views.

The study is ended with a conclusion which reveals what the study arrives at. One of the most important conclusions reveals taking root of argument in language structure and its relationship with pragmatics which is concerned with the usage of sentence by the speaker to fulfill his aims.